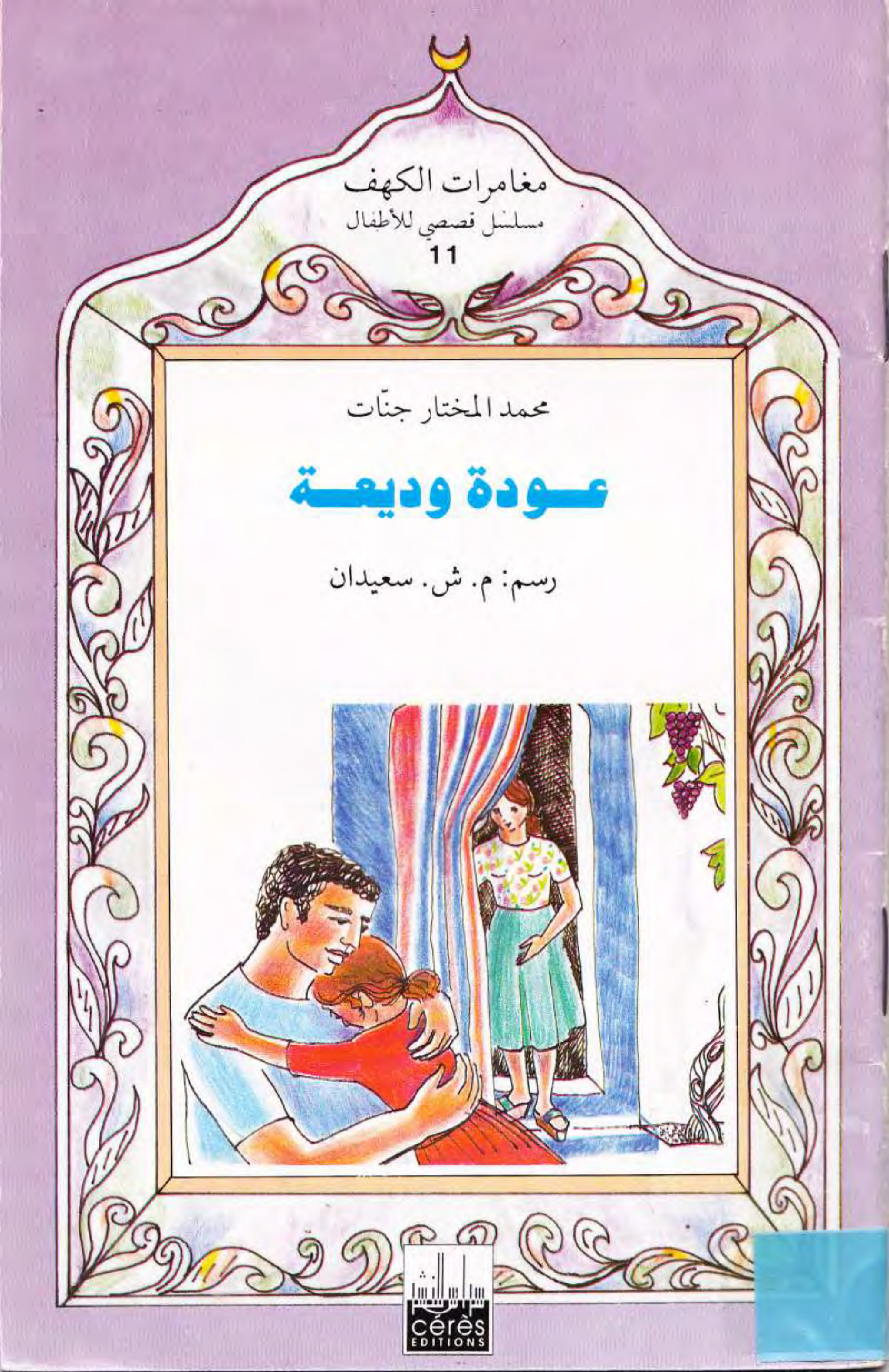


مغامرات الكهف

مسلسل قصصي للأطفال

11

محمد المختار جنّات

عودة وديعة

رسم: م. ش. سعيدان

cérès EDITIONS

مغـامرات
الكهـف

محمد المختار جنّات

عـودة وديعـة

الحلقة الحادية عشر



رسم: م. ش. سعيدان



حظي هذا الكتاب

بتوصية من وزارة الثقافة

تصميم وإشراف فني : عبد الستار الباجي

ISBN 9973-19-089-0

6 ، شارع عبد الرحمان عزّام – 1002 تونس



الحلقة

الحادية عشر

عـــودة وديعـــة

ملخّص الحلقات السابقة

ذَهَبَـتْ وَدِيعَةُ مَعَ أَبِيهَا إِلَى ٱلْحَقْلِ، وَقَصَدَتِ السَّاقِيَةَ لِتَلْهُوَ فَعَثَرَتْ عَلَى عِدَّةِ أَشْيَاءَ، مِنْ بَيْنِهَا مِفْتَـاحٌ صَغِيرٌ. وَفَجْأَةً بَرَزَتْ مِنَ ٱلْكَهْفِ ٱلْقَرِيبِ مِنَ السَّاقِيَةِ بُنَيَّـةٌ تُشْبِهُهَا ٱسْمُهَا بَدِيعَةُ، فَـاتَّجَهَتْ إِلَيْهَا لِتَلْعَبَ مَعَهَا، فَطَلَبَتْ مِنْهَا ٱلْمِفْتَـاحَ ٱلَّذِي وَجَدَتْـهُ لِتَفْتَحَ بِهِ قَصْرَ أَبِيهَا ٱلْـوَاقِعَ فِي مَدْخَلِ ٱلْكَهْفِ وَأَلَحَّتْ عَلَى وَدِيعَةَ لِتَدْخُلَ مَعَهَا ٱلْقَصْرَ.

رَحَّبَ أَهْلُ بَـدِيعَةَ بِوَدِيعَـةَ، وَوَاصَلُوا الاسْتِعْـدَادَ لِإِقَامَـةِ عُرْسِ ٱبْنِهِمْ يَاقُوتٍ، وصَحِبُوا مَعَهُمْ وَدِيعَـةَ. فَلَمَّا عَبَرُوا حَدِيقَةَ ٱلْقَصْرِ، تَخَلَّفَتْ وَدِيعَةُ عَنْ مَـوْكِبِهِمْ، وَضَلَّتْ عَنْ الطَّـرِيقِ، فَـوَقَعَتْ فِي يَدِ "عَجُـوزِ السُّتُّـوتِ". فَعَرَضَتْ عَلَيْهَـا عِقْدًا مِنَ ٱلْيَـاسَمِينِ لِتُعْطِيَهُ هَـدِيَّةً لِلْعَـرُوسِ، وَدَلَّتْهَا عَلَى جِـرْوٍ مَرْبُـوطٍ فِي ٱلْحَدِيقَـةِ لِتُطْلِقَ سَرَاحَـهُ وَتَتْبَعَـهُ، فَيُوصِلَهَـا إِلَى قَصْرِ ٱلْعَرُوسِ.

فَرِحَتْ بَدِيعَـةُ بِقُدُومِ صَاحِبَتِهَا، فَأَطْلَعَتْهَا وَدِيعَـةُ عَلَى عِقْدِ ٱلْيَاسَمِينِ، فَأَتْلَفَتْـهُ لأَنَّهُ مَسْحُـورٌ، وَقَدَّمَتْ وَدِيعَـةَ إِلَى ٱلْعَرُوسِ، فَـرَحَّبَتْ بِهَا.. وَفِي ٱلْحَقْلِ أَهْـدَى لَـهَا مِـرْعَادٌ ٱبْنُ حَـارِسِ ٱلْقَصْرِ – ٱلَّذِي مَسَخَتْـهُ ٱلْعَجُوزُ جِرْوًا – خَاتَمًا فَرِحَتْ بِهِ وَدِيعَـةُ كَثِيرًا، وَاتَّجَهَتْ لِتَبْحَثَ عَنْ مِنْدِيلِهَا ٱلَّذِي

سَقَطَ مِنْهَا بِدُونِ أَنْ تَشْعُرَ، فَتَـاهَتْ بَيْنَ غُرَفِ ٱلْقَصْرِ، وَلَمَّا عَادَتْ إِلَى ٱلْبَهْوِ لَـمْ تَجِدْ بِهِ أَحَدًا.

دَاهَمَ النُّعَاسُ وَدِيعَةَ فَنَامَتْ وَٱسْتَيْقَظَتْ مَذْعُورَةً، فَرَأَتْ صَبِيَّةً، اِسْمُهَا بَـرِيقُ، اِبْنَةُ مَلِكِ مُـرُوجِ ٱلْعَقِيقِ، طَلَبَتْ مِنْهَا إِنْقَـاذَ أُخْتِهَا "أَجْفَـانَ" الَّتِي تَحَوَّلَتْ إِلَى غَزَالَـةٍ عَلِيلَةٍ تَتَأَلَّمُ مِنْ جُـرْحٍ فِي رُكْبَتِهَا. فَخَرَجَتْ مَعَهَـا وَدِيعَةُ مِنَ ٱلْقَصْرِ، وَفَعَلَتْ مَـا طَلَبَتْهُ مِنْهَا بَـرِيقُ، وَتَحَصَّلَتْ عَلَى بُذُورِ السَّـوْسَنِ مِنَ ٱلْعَجُوزِ "جَوْشَنَ" فَزَرَعَتْهَا وَسَقَتْهَـا، فَطَلَعَ نَبْتُهَا، وَتَفَتَّحَتْ زُهُورُهَا، فَقَطَفَتْ مِنْهَـا وَدِيعَـةُ سَبْعَ زَهَرَاتٍ، دَلَكَـتْ بِهَا سَاقَ ٱلْغَـزَالَـةِ، ثُمَّ دَلَكَتْ بِثَـلَاثِ زَهَـرَاتٍ أُخْـرَى عَيْنَيْهَـا، وَأَغْمَضَتْهُمَا، وَأَمْسَكَتْ بِثَـوْبِ بَـرِيقَ، وَتَبِعَتْهَا. . .

فِي غَمْضَـةِ عَيْنٍ وَصَلَتْ وَدِيعَـةُ مَعَ بَـرِيقَ إِلَى قَصْرِ ٱلْعَقِيقِ.. فَـدَهِشَتْ حِينَ وَجَدَتِ ٱلْغَزَالَـةَ «أَجْفَانَ» قَدْ تَحَوَّلَتْ إِلَى صَبِيَّـةٍ جَمِيلَةٍ.. وَبِسُرْعَةٍ زَالَ ٱلْجِدَادُ عَنِ ٱلْقَصْرِ، وَخَرَجَ سُكَّـانُ مَدِينَـةِ مُرُوجِ ٱلْعَقِيقِ، يَتَقَـدَّمُهُمُ ٱلْمَـلِكُ وَٱلْمَلِكَةُ لِلاحْتِفَاءِ بِقُدُومِ بَرِيقَ وَأَجْفَانَ.

حَكَتْ أَجْفَانُ لأَهْلِهَا مَا وَقَعَ لَهَا، فَتَعَجَّبُـوا وَشَكَرُوا وَدِيعَةَ عَلَى إِنْقَاذِهَا لَهَا، وَوَعَدَتْهَا ٱلْمَلِكَةُ بِالْعَمَلِ عَلَى عَوْدَتِهَا إِلَى أَبِيهَا.

اتَّصَلَتِ ٱلْمَلِكَـةُ بِزَوْجِهَـا، فَأَخْبَرَهَا بِأَنَّـهُ ٱطَّلَعَ فِي ٱلأَلْوَاحِ عَلَى أَنَّ عَـوْدَةَ وَدِيعَـةَ إِلَى حَقْلِ أَبِيهَـا تَتَـوَقَّفُ عَلَى اسْتِعْمَالِ مِرْآةِ الـدُّنْيَـا لِلتَّعَـرُّفِ عَلَى الطَّرِيقِ ٱلْمُؤَدِّيَةِ إِلَى قَصْرِ الشَّيْخِ رَبِيعَةَ.. وَهَذِهِ ٱلْمِرْآةُ تُـوجَدُ فِي مَدِينَةٍ بَعِيدَةٍ وَغَرِيبَةٍ تُسَمَّى كَلِيلَةَ، لاَ يَدْخُلُهَا أَحَـدٌ إِلاَّ إِذَا بَاسَ قَدَمَيْ أَمِيرِهَا جَدِيلَةَ، أَوْ بَارَزَهُ وَتَغَلَّبَ عَلَيْـهِ؛ وَلاَ يَصْلُحُ لِهَذِهِ ٱلْمُهِمَّةِ إِلاَّ ابْنَتُهُ أَجْفَـانُ.. ثُمَّ دَعَا ٱلْمَلِكُ

ابْنَتَهُ، وَأَطْلَعَهَا عَلَى مَا أَخْبَرَ بِهِ أُمَّهَـا، فَأَعْرَبَتْ عَنِ ٱسْتِعْدَادِهَا لأَدَاءِ ٱلْمُهِمَّةِ، ٱعْتِرَافًا مِنْهَا بِجَمِيلِ وَدِيعَـةَ، فَأَمَرَ ٱلْمَلِكُ بِإِحْضَارِ ٱلْحُكَمَاءِ لِيَسْتَشِيرَهُمْ فِي ٱلأَمْرِ.

أَشَارَ ٱلْحُكَمَاءُ عَلَى ٱلْمَلِكِ بِأَنْ يُعْلِنَ لِسُكَّانِ ٱلْمَدِينَةِ عَنْ جَائِزَةٍ يَمْنَحُهَا لِمَنْ يَدُلُّهُ عَلَى مَدِينَةِ كَلِيلَةَ، فَأَمَـرَ بِذَلِكَ.. فَتَقَدَّمَ شَابٌّ غَرِيبٌ أَخْبَرَ ٱلْمَلِكَ بِأَنَّهُ مِنْ مَدِينَةِ كَلِيلَةَ، وَٱشْتَرَطَ عَلَيْهِ تَزْوِيجَهُ بِابْنَتِـهِ بَرِيقَ مُقَابِلَ إِطْلاَعِهِ عَلَى مَوْقِعِ ٱلْمَدِينَةِ وَكَيْفِيَّةِ ٱلْـوُصُولِ إِلَيْهَا، فَأَشَارَتْ عَلَيْـهِ ٱلْمَلِكَةُ بِأَنْ يَعْرِضَ ٱلأَمْرَ عَلَى بَرِيقَ. فَلَمَّا أَخْبَرَهَا بِهِ، قَبِلَتْ التَّزَوُّجَ بِالشَّابِّ إِكْرَامًا لِوَدِيعَةَ.

أَطْلَعَ الشَّـابُّ "أَجْفَـانَ" عَلَى الطَّرِيـقِ ٱلْمُؤَدِّيَةِ إِلَى كَلِيلَـةَ، وَعَلَى كَيْفِيَّـةِ عُبُورِهَا وَالتَّغَلُّبِ عَلَى ٱبْنِ عَمِّهِ ٱلأَمِيرِ جَدِيلَـةَ، وَأَعْلَمَهَا بِأَنَّ مِرْآةَ الدُّنْيَا هِيَ فِي حَوْزَةِ أُمِّهِ ٱلأَمِيرَةِ ثُنْيَا.

إِبْتَهَجَ ٱلْمَلِكُ حِينَ أَطْلَعَهُ الشَّـابُّ «مَمْنُونٌ» عَلَى حَسَبِـهِ وَنَسَبِهِ، وَاحْتَفَلَ بِخِطْبَتِـهِ لابْنَتِهِ بَـرِيقَ، ثُمَّ خَـرَجَ فِي مَـوْكِبٍ كَبِيرٍ لِتَوْدِيـعِ وَدِيعَةَ وَٱبْنَتِـهِ أَجْفَـانَ، وَأَهْدَى لِـوَدِيعَـةَ عِقْدًا مِنَ ٱلْعَقِيـقِ، وَرَجَعَ فِي مَوْكِبِـهِ إِلَى قَصْرِهِ، فَوَاصَلَتْ أَجْفَانُ وَوَدِيعَةُ السَّيْرَ فِي خِفَارَةِ ٱلْجُنُودِ وَٱلْفُرْسَانِ.

رَجَعَ ٱلْجُنُودُ وَٱلْفُرْسَانُ أَدْرَاجَهُمْ حِينَ بَلَغُوا حُدُودَ مَمْلَكَتِهِمْ، فَوَاصَلَتْ أَجْفَانُ وَوَدِيعَـةُ السَّيْرَ وَٱقْتَحَمَتَا غَابَـةَ الزَّئِيرِ، وَٱجْتَازَتَـا سَهْلَ ٱلأَشْوَاكِ، وَبَلَغَتَـا جَبَلَ هِيـلاَنَ فَتَخَلَّصَتَا مِـنَ ٱلْغِيلاَنِ، ثُمَّ وَلَجَتَـا ٱلْمَغَـارَةَ وَسِرْدَابَ السُّكُوتِ، وَعَبَرَتَـا النَّهْرَ ٱلأَسْوَدَ، وَلَمَّا نَفَـذَتَا مِنَ النَّهْرِ إِلَى بَحْـرِ السُّكُونِ، بَرَزَتْ لَهُمَا عَـرُوسُ ٱلْبَحْرِ، فَمَلأَتْ لَهُمَا قِـرْبَةً بِمَاءٍ يُـذِيبُ مِلْحَ الشَّاطِئِ،

وَأَهْدَتْهُمَا حَفْنَةً مِنَ اللُّؤْلُؤِ وَوَدَّعَتْهُمَا، فَاجْتَازَتَا شَاطِئَ السَّرَابِ وَوَصَلَتَا إِلَى مَدِينَةِ كَلِيلَةَ.

طَرَقَتْ أَجْفَانُ بَابَ الْمَدِينَةِ فَعَرَضَ عَلَيْهَا الْحُرَّاسُ الدُّخُولَ فِي خِدْمَةِ الأَمِيرِ لِيَسْمَحَ لَهَا بِدُخُولِ الْمَدِينَةِ. فَرَفَضَتْ قَبُولَ شَرْطِهِمْ، وَطَلَبَتْ مُبَارَزَةَ الأَمِيرِ، فَتَعَجَّبُوا كَثِيراً، وَأَبْلَغُوا أَمْرَهَا إِلَى الأَمِيرِ، فَأَمَرَ بِتَقْدِيمِ وَاجِبِ الضِّيَافَةِ لَهَا وَلِرَفِيقَتِهَا، وَخَرَجَ مِنَ الْغَدِ لِمُبَارَزَتِهَا. فَغَلَبَتْهُ أَجْفَانُ وَأَوْقَعَتْهُ أَرْضًا، فَأَمْسَكَ بِخُوذَتِهَا، فَانْكَشَفَتْ ضَفِيرَتَاهَا. تَعَجَّبَ الأَمِيرُ حِينَ اكْتَشَفَ – صُدْفَةً – أَنَّ الْفَارِسَ الَّذِي غَلَبَهُ فَتَاةٌ. وَلَمَّا أَخْبَرَ أَبَاهُ بِاكْتِشَافِهِ، اسْتَدْعَى حَكِيمَ الْمَدِينَةِ لِيَكْشِفَ لَهُ عَنْ هُوِيَّةِ الْفَتَاةِ الَّتِي غَلَبَتْ ابْنَهُ، فَذَكَّرَهُ الْحَكِيمُ بِمَا سَبَقَ أَنْ تَنَبَّأَ بِهِ الْمُنَجِّمُونَ يَوْمَ وِلَادَةِ ابْنِهِ، فَقَدْ أَخْبَرُوهُ بِأَنَّهُ سَيَكُونُ فَارِسًا صِنْدِيدًا لَا تَغْلِبُهُ إِلَّا فَتَاةٌ: ابْنَةُ سُلْطَانٍ، وَقَدْ أَقْسَمَ يَوْمَهَا بِأَنْ لَا يُزَوِّجَ ابْنَهُ إِلَّا بِهَذِهِ الْفَتَاةِ.

تَعَجَّبَ السُّلْطَانُ وَابْنُهُ حِينَ كَشَفَتْ لَهُمْ أَجْفَانُ عَنْ وَجْهِهَا، وَأُعْجِبَا كَثِيرًا بِجَمَالِهَا، وَتَأَثَّرَا بِمَا وَقَعَ لَهَا حِينَ حَكَتْ لَهُمَا مَا جَرَى لَهَا مِنَ الْبِدَايَةِ إِلَى النِّهَايَةِ، وَأَكْبَرَا شَجَاعَةَ وَدِيعَةَ، وَفَرِحَا بِخِطْبَةِ مَمْنُونٍ لِبَرِيقَ، وَأَحْضَرَ السُّلْطَانُ شَيْخَ الْحُكَمَاءِ، فَدَلَّ وَدِيعَةَ عَلَى كَيْفِيَّةِ تَصْحِيحِ أَخْطَاءِ الأَمِيرَةِ ثُنْيَا حَتَّى تَثُوبَ إِلَى رُشْدِهَا.

نَجَحَتْ وَدِيعَةُ فِي مُهِمَّتِهَا وَشَفَتِ الأَمِيرَةَ مِنَ الْجُنُونِ.

فَرِحَتْ الأَمِيرَةُ حِينَ أَطْلَعَتْهَا أَجْفَانُ عَلَى أَخْبَارِ ابْنِهَا. وَلَمَّا عَادَتْ إِلَى الْقَصْرِ أَخْرَجَتْ صُنْدُوقَ مُجَوْهَرَاتِهَا مِنْ مَخْبَئِهِ، وَفَتَحَتْهُ وَأَخْرَجَتْ مِنْهُ مِرْآةَ الدُّنْيَا.

أُعْجِبَتْ وَدِيعَةُ بِجَمَالِ مِرْآةِ الدُّنْيَا حِينَ أَخْرَجَتْهَا الأَمِيرَةُ ثُنْيَا مِنَ الصُّنْدُوقِ الَّذِي خَبَّأَتْهُ فِي غُرْفَتِهَا، وَفَرِحَتْ بِالْمِرْآةِ كَثِيرًا.

قَالَتْ لَهَا أَجْفَانُ:

ـ سَهُلَ الآنَ رُجُوعُكِ إِلَى أَبِيكِ.

فَارْتَمَتْ وَدِيعَةُ عَلَيْهَا تُعَانِقُهَا، وَتَحْمَدُ اللَّهَ عَلَى قُرْبِ عَوْدَتِهَا إِلَى أُمِّهَا وَأَبِيهَا وَأَخِيهَا الصَّغِيرِ..

قَالَ السُّلْطَانُ عَبْرُونُ فِي نَفْسِهِ: حَانَتِ الآنَ فُرْصَةُ تَزْوِيجِ ابْنِي جَدِيلَةَ مِنْ أَجْفَانَ.

فَقَالَ لِأُخْتِهِ:

ـ أَعْطِينِي مِرْآةَ الدُّنْيَا لِأَرَاهَا.

فَأَعْطَتْهُ إِيَّاهَا، فَأَسْرَعَ بِدَسِّهَا، وَقَالَ لِأَجْفَانَ مُتَظَاهِرًا بِمُمَازَحَتِهَا:

ـ مِثْلَمَا اشْتَرَطَ أَبُوكِ عَلَى ابْنِ أُخْتِي أَنْ لَا يَزُفَّ إِلَيْهِ أُخْتَكِ إِلَّا إِذَا نَجَحْتِ فِي مُهِمَّتِكِ وَرَجَعْتِ إِلَيْهِ سَالِمَةً. فَإِنِّي أَشْتَرِطُ بِدَوْرِي أَنْ لَا أُسَلِّمَ إِلَيْكِ الْمِرْآةَ إِلَّا إِذَا قَبِلْتِ الزَّوَاجَ بِابْنِي جَدِيلَةَ.

فَرِحَ الأَمِيرُ جَدِيلَةُ بِصَنِيعِ أَبِيهِ. أَمَّا أَجْفَانُ فَقَدْ حَشَمَتْ،

فَقَالَتْ لِلسُّلْطَانِ فِي حَيَاءٍ:

- مِنْ جِهَتِي، فَـإِنِّي أَقْبَلُ شَرْطَكَ يَا مَوْلاَيَ، إِكْرَامًا لِـوَدِيعَةَ، لأَنَّ عَـوْدَتَهَا تَتَوَقَّفُ عَلَى مِـرْآةِ الـدُّنْيَا ٱلَّتِي ٱحْتَفَظْتَ بِهَا، لَكِنَّ ٱلأَمْـرَ يَبْقَى بِيَدِ أَبِي أَيُّهَا السُّلْطَانُ.

فَرِحَ السُّلْطَانُ بِإِجَابَتِهَا، وَقَالَ لَهَا:

— بَـارَكَ اللَّـهُ فِيكِ، يَـا ابْنَتِي، مَـا أَرْجَـحَ عَقْلَكِ!. أَنْتِ جَمِيلَـةٌ، وَشُجَاعَةٌ، وَعَاقِلَةٌ.. وَأَنَا لاَ أَرْضَى لابْنِي عَرُوسًا غَيْرَكِ.

فَـرِحَتْ وَدِيعَـةُ كَثِيرًا بِخِطْبَـةِ أَجْفَانَ لِـلأَمِيرِ، وَشَكَـرَتْهَا عَلَى قَبُـولِهَا الـزَّوَاجَ بِٱلأَمِيرِ، وَعَـانَقَتْ صَدِيقَتَهَـا، وَقَبَّلَتْهَـا مُهَنِّئَـةً، وَأَثْنَتِ الأَمِيرَةُ ثُنْيَا عَلَى أَجْفَانَ، وَشَكَرَتْهَا عَلَى قَبُولِهَا الزَّوَاجَ بِابْنِ أَخِيهَا الأَمِيرِ، وَقَالَتْ وَهْيَ تَضُمُّهَا إِلَى صَدْرِهَا:

- لَقَدْ تَضَاعَفَ فَرَحِي ٱلآنَ، فَأَنْتِ سَتُؤْنِسِينَ كَنَّتِي بَرِيقَ.

فَأَخَـذَ السُّلْطَانُ يَمْتَـدِحُ شَجَاعَـةَ أَجْفَانَ، وَطَلَبَ مِنْ ٱبْنِـهِ أَنْ يَقُصَّ عَلَى عَمَّتِـهِ كَيْفَ بَـارَزَتْـهُ أَجْفَـانُ وَغَلَبَتْـهُ. فَحَشَمَ ٱلأَمِيرُ، فَقَصَّ عَلَيْهَا السُّلْطَـانُ بِنَفْسِهِ مَا رَوَاهُ لَهُ ٱبْنُهُ عَـنْ هَذِهِ ٱلْمُبَارَزَةِ، فَٱزْدَادَ إِعْجَابُ الأَمِيرَةِ ثُنْيَا بِشَجَاعَةِ أَجْفَانَ.

دَعَتِ ٱلْمَلِكَةُ الْجَمِيعَ إِلَى تَنَاوُلِ الطَّعَامِ.. وَبَعْدَ ٱلأَكْلِ عَلَى الأَنْغَامِ وَالرَّقْصِ وَالطَّرَبِ، حَانَ وَقْتُ السَّمَرِ..

قَالَ السُّلْطَانُ، وَهْوَ يَفْرُكُ يَدَيْهِ سُرُورًا:

- الرَّأْيُ عِنْدِي أَنْ أُوفِدَ وَزِيـرَنَا ٱلأَكْبَرَ بِصُحْبَةِ أُخْتِي ثُنْيَا، وَٱبْنِي جَدِيلَةَ إِلَى مَمْلَكَةِ ٱلْعَقِيقِ لِيَخْطُبُوا أَجْفَانَ مِنْ أَبِيهَا.

قَالَتِ الأَمِيرَةُ فِي حَمَاسٍ:

- نِعْمَ مَا رَأَيْتَ، يَا أَخِي.. فَأَنَا فِي شَوْقٍ إِلَى رُؤْيَةِ ٱبْنِي مَمْنُونٍ كَيْ تَقَرَّ عَيْنِي بِهِ، وَأَطْمَئِنَّ عَلَيْهِ، وَأَتَعَرَّفَ عَلَى خَطِيبَتِهِ.

قَالَ السُّلْطَانُ:

- وَهُوَ كَذَلِكَ، وَيَقِينِي أَنَّ سُلْطَـانَ مَمْلَكَةِ مُرُوجِ الْعَقِيقِ سَيُوَافِقُ عَلَى تَزْوِيجِي ٱبْنِي بِٱبْنَتِـهِ، خَاصَّـةً إِذَا أَعْلَمْتِهِ يَا ثُنْيَـا أَنَّ أَجْفَانَ وَافَقَتْ عَلَى الزَّوَاجِ بِٱبْنِي جَدِيلَةَ.

قَالَتِ الأَمِيرَةُ ثُنْيَا:

- لاَ أَشُكُّ فِي ذَلِكَ يَا أَخِي. إِنَّ رَأْيَكَ هُوَ الرَّأْيُ الصَّوَابُ.

قَالَتْ وَدِيعَةُ:

ـ وَلَكِنَّ الطَّرِيقَ طَوِيلٌ وَوَعْرٌ، بِهِ الأَهْوَالُ وَالأَخْطَارُ السَّبْعَةُ، وَأَخَافُ أَنْ تَتَأَخَّرُوا، فَأُبْطِئَ عَلَى أَبِي فَيَغْضَبَ، فَقَدْ تَرَكْتُهُ يَحْرُثُ وَقَدْ أَوْصَانِي بِأَنْ لاَ أَبْتَعِدَ عَنِ السَّاقِيَةِ.

قَالَ لَهَا الأَمِيرُ جَدِيلَةُ، وَالْفَرَحُ يُشِعُّ مِنْ عَيْنَيْهِ:

ـ أَلاَ تَرْغَبِينَ فِي مُشَاهَدَةِ عُرْسِ صَدِيقَتِكِ " بَرِيقَ " ؟" وَعُرْس...

وَأَمْسَكَ خَجَلاً، وَلَمْ يُتِمَّ بَقِيَّةَ كَلاَمِهِ... " وَعُرْسِ صَدِيقَتِكِ أَجْفَانَ " .

فَقَالَتْ لَهُ وَدِيعَةُ:

ــ أَوَدُّ ذَلِكَ، كَمَا أَرْغَبُ أَنْ يَقْبَلَ سُلْطَانُ مَمْلَكَةِ مُرُوجِ الْعَقِيقِ تَزْوِيجَكَ بِصَدِيقَتِي أَجْفَانَ، وَأَحْضُرَ عُرْسَكُمَا أَيْضًا.

ضَحِكَ السُّلْطَانُ والأَمِيرُ، وَقَالَتْ لَهَا الأَمِيرَةُ ثُنْيَا:

ـ يَا لَكِ مِنْ بُنَيَّةٍ لَطِيفَةٍ وَبَدِيعَةٍ ! سَنُحَقِّقُ لَكِ رَغْبَتَكِ بِإِذْنِ اللَّهِ، فَلاَ تَقْلَقِي.. فَمِنْ نَاحِيَةِ سَفَرِنَا إِلَى مَمْلَكَةِ مُرُوجِ الْعَقِيقِ، وَعَوْدَتِنَا مِنْهَا، فَسَتَتِمُّ بِسُرْعَةٍ، فَأَنَا أَعْرِفُ ـ كَمَا سَبَقَ أَنْ قُلْتُ لَكِ وَلأَجْفَانَ ـ طَرِيقًا قَصِيرًا، سَتَدُلُّنَا عَلَيْهِ مِرْآةُ الدُّنْيَا.

انْفَرَدَتْ أَجْفَانُ بِوَدِيعَةَ، فَأَعْطَتْهَا خَاتَمَهَا، وَطَلَبَتْ مِنْهَا أَنْ تُعْطِيَهُ لِلأَمِيرِ جَدِيلَةَ لِيُرِيَهُ لأَبِيهَا عَلاَمَةَ قَبُولِهَا الزَّوَاجَ مِنْهَا. فَلَمَّا قَدَّمَتْ الْخَاتَمَ لِلأَمِيرِ شَكَرَهَا، وَفَرِحَ بِالْخَاتَمِ كَثِيرًا وَلَبِسَهُ..

وَحَانَ مَوْعِدُ الرَّحِيلِ، فَخَرَجَ السُّلْطَانُ، وَزَوْجَتُهُ، وَأَجْفَانُ، وَوَدِيعَةُ لِتَشْيِيعِ الأَمِيرِ جَدِيلَةَ، وَعَمَّتِهِ الأَمِيرَةِ ثُنْيَا، وَالْوَزِيرِ الأَكْبَرِ لِسُلْطَانِ مَمْلَكَةِ كَلِيلَةَ وَمَعَهُ أَغْلَى الْهَدَايَا وَخِطَابٌ مِنْ جَلاَلَةِ السُّلْطَانِ إِلَى وَالِدِ أَجْفَانَ.

* * *

مَرَّتْ عَلَى غِيَابِ الأَمِيرِ جَدِيلَةَ وَعَمَّتِهِ الأَمِيرَةِ ثُنْيَا فَتْرَةٌ قَصِيرَةٌ، انْقَضَتْ كَحُلْمٍ بَهِيجٍ قَصِيرٍ، سَعِدَتْ فِيهَا وَدِيعَةُ بِصُحْبَةِ صَدِيقَتِهَا أَجْفَانَ.. فَكَانَتْ تَمْرَحُ مَعَهَا فِي بُسْتَانِ الْقَصْرِ، وَتَخْرُجُ مَعَهَا بِصُحْبَةِ الْمَلِكَةِ فِي الْمَرْكَبَةِ السُّلْطَانِيَّةِ لِلتَّجَوُّلِ فِي مَدِينَةِ كَلِيلَةَ. وَالتَّفَرُّجِ عَلَى أَسْوَاقِهَا وَقُصُورِهَا وَمَلاَهِيهَا.. وَكَادَتْ وَدِيعَةُ لاَ تُصَدِّقُ الْجَارِيَةَ، حِينَ أَخْبَرَتْهَا بِأَنَّ السُّلْطَانَ يَدْعُوهَا وَأَجْفَانَ لِمُرَافَقَتِهِ وَالْخُرُوجِ مَعَهُ لاِقْتِبَالِ مَوْكِبِ مَلِكِ مُرُوجِ الْعَقِيقِ، فَعَانَقَتْ أَجْفَانَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ، وَخَرَجَتْ فَوَجَدَتْ أَمَامَ الْقَصْرِ مَوْكِبًا كَبِيرًا، يَتَقَدَّمُهُ السُّلْطَانُ وَالْوُزَرَاءُ وَالأَعْيَانُ وَقُوَّادُ الْعَسْكَرِ، فَانْضَمَّتْ إِلَى أَجْفَانَ وَإِلَى الْمَلِكَةِ، وَرَكِبَتَا مَعَهَا الْعَرَبَةَ الْمَلَكِيَّةَ...



ذَاعَ ٱلْخَبَرُ فِي الْمَدِينَةِ، فَخَرَجَ السُّكَّانُ زَرَافَاتٍ وَوُحْدَانًا لِلتَّفَرُّجِ عَلَى الْمَوْكِبِ، وَهْوَ يَعْبُرُ بِبُطْءٍ الشَّوَارِعَ الْمُزْدَانَةَ بِالرَّايَاتِ وَالأَغْصَانِ وَالزَّرَابِيِّ، تَتَقَدَّمُهُ فِرْقَةٌ عَسْكَرِيَّةٌ مُوسِيقِيَّةٌ تَقْرَعُ الطُّبُولَ، وَتَنْفُخُ فِي الأَبْوَاقِ، وَتَدُقُّ الصُّنُوجَ.. وَكَانَ السُّكَّانُ الْمُتَجَمْهِرُونَ فِي الشَّوَارِعِ وَالطُّرُقَاتِ يَهْتِفُونَ بِحَيَاةِ ٱلْمَلِكِ.

وَأَمَامَ بَابِ الْمَدِينَةِ الْكَبِيرِ الْتَقَى مَوْكِبُ سُلْطَانِ مَدِينَةِ كَلِيلَةَ بِمَوْكِبِ سُلْطَانِ مَمْلَكَةِ مُرُوجِ الْعَقِيقِ، فَعَلَتْ هُتَافَاتُ الْجَمَاهِيرِ، وَأمْتَزَجَتْ بِالأَنْغَامِ وَالزَّغَارِيدِ وَالتَّصْفِيقِ، وَأَخَذَ السُّكَّانُ يَرْقُصُونَ فَرَحًا وَابْتِهَاجًا..

تَرَجَّلَ سُلْطَانُ مُرُوجِ الْعَقِيقِ هُوَ وَزَوْجَتُهُ عَنِ الْمَرْكَبَةِ السُّلْطَانِيَّةِ، فَأَسْرَعَ إِلَيْهِمَا سُلْطَانُ مَدِينَةِ كَلِيلَةَ وَزَوْجَتُهُ، وَاقْتَبَلاَهُمَا بِالأَحْضَانِ، وَعَانَقَاهُمَا. وَأَسْرَعَتْ وَدِيعَةُ نَحْوَ بَرِيقَ، وَٱرْتَمَتْ عَلَيْهَا تُعَانِقُهَا وَتُقَبِّلُهَا، وَٱرْتَمَتْ أَجْفَانُ فِي أَحْضَانِ أُمِّهَا، فَأَخَذَتْ تَضُمُّهَا وَتُقَبِّلُهَا. وَنَزَلَ مَمْنُونٌ وَأُمُّهُ مِنَ الْعَرَبَةِ الْفَاخِرَةِ الْمُطَهَّمَةِ ٱلَّتِي أَقَلَّتْهُمَا، فَلَمَا رَأَى النَّاسُ الأَمِيرَ مَمْنُونًا أَخَذُوا يُحَيُّونَهُ، وَيَرْمُونَ الْوُرُودَ عَلَيْهِ وَعَلَى الأَمِيرِ جَدِيلَةَ، وَيَهْتِفُونَ بِحَيَاتِهِمَا.

أُقِيمَتِ الأَفْرَاحُ فِي الْمَدِينَةِ احْتِفَالاً بِعُرْسِ الأَمِيرِ جَدِيلَةَ وَالأَمِيرِ مَمْنُونٍ ابْنِ أُخْتِ السُّلْطَانِ، وَزُفَّتِ الأُخْتَانِ أَجْفَانُ وَبَرِيقُ إِلَى عَرِيسَيْهِمَا.

وَلَمَّا انْتَهَى الْعُرْسُ أَعْطَى السُّلْطَانُ " عَبْرُونُ " مِرْآةَ الدُّنْيَا إِلَى كَنَّتِهِ أَجْفَانَ، فَرَكِبَتْ مَعَ زَوْجِهَا جَدِيلَةَ وَأُخْتِهَا بَرِيقَ وَزَوْجِهَا مَمْنُونٍ الْعَرَبَةَ الْمَلَكِيَّةَ، وَأَرْكَبُوا مَعَهُمْ وَدِيعَةَ.

نَظَرَتْ أَجْفَانُ فِي مِرْآةِ الدُّنْيَا، وَقَالَتْ:

- يَا مِرْآةَ الدُّنْيَا الْعَجِيبَةَ.. اِكْشِفِي لَنَا الطَّرِيقَ الْقَرِيبَةَ.. دُلِّينَا أَيَّتُهَا الْمِرْآةُ الْبَدِيعَةُ.. عَلَى قَصْرِ الشَّيْخِ رَبِيعَةَ..

تَلأْلأَتِ الْمِرْآةُ، وَظَهَرَتْ عَلَى صَفْحَتِهَا الثَّنِيَّةُ الْمُؤَدِّيَةُ إِلَى قَصْرِ الشَّيْخِ رَبِيعَةَ، فَأَعْطَتْ أَجْفَانُ الْمِرْآةَ لِلسَّائِسِ، وَقَالَتْ لَهُ:

- لاَزِمِ النَّظَرَ فِي الْمِرْآةِ، وَوَجِّهِ الْجِيَادَ إِلَى الطَّرِيقِ الَّذِي تَظْهَرُ لَكَ فِيهَا.

وَفِي لَمْحِ الْبَصَرِ، وَصَلَتِ الْعَرَبَةُ السُّلْطَانِيَّةُ إِلَى حَدِيقَةٍ وَارِفَةِ الظِّلاَلِ، فَصَاحَ السَّائِسُ وَهْوَ يُوقِفِ الْخُيُولَ:

- وَصَلْنَا إِلَى حَدِيقَةِ قَصْرِ الشَّيْخِ رَبِيعَةَ.

لَمَحَتْ وَدِيعَةُ الأَمِيرَ يَاقُوتَ يَصْطَادُ فِي الْحَدِيقَةِ، فَصَاحَتْ تُنَادِيهِ، فَلَمْ يَسْمَعْهَا وَجَرَى رَاكِضًا وَرَاءَ أَرْنَبٍ يُرِيدُ صَيْدَهَا؛ فَهَبَطَتْ بِسُرْعَةٍ عَنِ الْعَرَبَةِ، فَنَزَلَتْ أَجْفَانُ وَزَوْجُهَا، وَبَرِيقُ وَزَوْجُهَا، وَوَدَّعُوا وَدِيعَةَ، وَدَعُوا لَهَا بِالسَّلاَمَةِ، وَشَيَّعُوهَا بِأَنْظَارِهِمْ حَتَّى دَخَلَتِ الْحَدِيقَةَ، ثُمَّ عَادُوا، وَامْتَطَوْا الْعَرَبَةَ السُّلْطَانِيَّةَ، وَرَجَعُوا أَدْرَاجَهُمْ إِلَى مَدِينَةِ كَلِيلَةَ.

* * *

دَخَلَتْ وَدِيعَةُ حَدِيقَةَ الْقَصْرِ، وَسَلَكَتْ دَرْبَ الْوَرْدِ، وَلَمَّا انْتَهَتْ إِلَى أَشْجَارِ الْخَوْخِ وَالتُّفَّاحِ وَالإِجَّاصِ أَحَسَّتْ بِالْجُوعِ وَالْعَطَشِ، وَأَغْرَتْهَا الثِّمَارُ اللَّذِيذَةُ بِنُضْجِهَا وَتَوَرُّدِهَا فَاتَّجَهَتْ نَحْوَ شَجَرَةِ التُّفَّاحِ، وَمَدَّتْ يَدَهَا لِتَقْطِفَ تُفَّاحَةً، وَإِذَا بِصَوْتٍ أَجَشَّ يَنْهَرُهَا وَيَنْهَاهَا؛ فَالْتَفَتَتْ فَرَأَتْ عَجُوزَ السُّتُوتِ تَقِفُ وَرَاءَهَا، مُتَوَكِّئَةً عَلَى عَصَاهَا وَهْيَ تَصِيحُ بِهَا مُهَدِّدَةً:

- يَا سَارِقَةَ الثِّمَارِ، وَنَاكِثَةَ الْعُهُودِ مَعَ الْكِبَارِ، الْيَوْمَ تَلْقَيْنَ جَزَاءَكِ.

قَالَتْ وَدِيعَةُ فِي خَوْفٍ:

- أَنَا يَا خَالَتِي ! مَاذَا فَعَلْتُ؟ وَمَاذَا جَنَيْتُ؟

قَالَتِ الْعَجُوزُ فِي غَضَبٍ:

- أَلَا تَعْرِفِينَ أَنَّ الْحَدِيقَةَ لِي، وَثِمَارُهَا مِلْكٌ لِي؟

قَالَتْ وَدِيعَةُ فِي اسْتِرْحَامٍ:

- سَامِحِينِي يَـا خَالَتِي، كُنْتُ أَحْسَبُهَا حَدِيقَةَ صَـاحِبَتِي بَدِيعَةَ، ابْنَةِ الشَّيْخِ رَبِيعَةَ.

اِشْتَعَلَتْ عَيْنَا الْعَجُوزِ بِنَارِ الْغَضَبِ وَقَالَتْ لَهَا:

- لَا تَذْكُرِي اسْمَ تِلْكَ الْخَبِيثَةِ أَمَامِي، وَإِلَّا قَطَعْتُ لِسَانَكِ.

وَاقْتَرَبَتِ الْعَجُوزُ مِنْ وَدِيعَةَ، وَقَالَتْ وَهْيَ تَتَفَرَّسُ فِي وَجْهِهَا:

- أَلَمْ أُحَذِّرْكِ مِنْ مَكْرِ تِلْكَ الْخَبِيثَةِ، وَأُوصِكِ بِأَنْ لَا تَقُولِي لَهَا أَوْ لِأَيِّ أَحَدٍ بِأَنِّي أَنَا الَّتِي نَظَمْتُ عِقْدَ الْيَاسَمِينِ، وَأَعْطَيْتُهُ لَكِ لِتُقَدِّمِيهِ هَدِيَّةً إِلَى الْعَرُوسِ قُوتِ الْقُلُوبِ؟

لَمْ تَجِدْ وَدِيعَةُ مَا تَقُولُهُ لِعَجُوزِ السُّتُوتِ فَطَأْطَأَتْ رَأْسَهَا، فَقَالَتْ لَهَا الْعَجُوزُ الشَّمْطَاءُ وَهْيَ تَخِزُهَا بِعُكَّازَتِهَا:

- قُولِي.. تَكَلَّمِي.. لِمَاذَا خَرِسْتِ؟

تَوَسَّلَتْ إِلَيْهَا وَدِيعَةُ قَائِلَةً:

- سَامِحِينِي يَا خَالَتِي، لَقَدْ أَخْطَأْتُ.

حَدَّجَتْ عَجُوزُ السُّتُوتِ وَدِيعَةَ بِنَظْرَةٍ شَزْرَاءَ، وَابْتَسَمَتْ ابْتِسَامَةً صَفْرَاءَ، وَقَالَتْ لَهَا بِلَهْجَةٍ نَكْرَاءَ:

- يَا سَارِقَةَ الثِّمَارِ، مَا الَّذِي أَخَّرَكِ عَنْ أَبِيكِ إِلَى هَذَا النَّهَارِ؟ هَلْ مُجَارَاتُكِ لِبَدِيعَةَ، وَدُخُولُكِ مَعَهَا قَصْرَ الشَّيْخِ رَبِيعَةَ؟ أَمْ حُضُورُكِ عُرْسَ قُوتِ الْقُلُوبِ، ابْنَةِ الشَّيْخِ مَرْهُوبٍ؟ أَمْ إِنْقَاذُكِ لِأَجْفَانَ الْغَزَالَةِ، مِنْ سِحْرِ جَوْشَنَ الْمُحْتَالَةِ؟ أَمْ صُحْبَتُكِ لَهَا وَلِلْأَمِيرَةِ بَرِيقَ، لِزِيَارَةِ قَصْرِ الْعَقِيقِ؟ أَمِ السَّفَرُ صُحْبَةَ أَجْفَانَ إِلَى مَدِينَةِ كَلِيلَةَ، لِمُصَارَعَةِ الْأَمِيرِ جَدِيلَةَ؟ أَمْ شِفَاءُ الْمَجْنُونَةِ ثُنْيَا، لِلْحُصُولِ عَلَى مِرْآةِ الدُّنْيَا؟ أَمْ حُضُورُ عُرْسِ بَرِيقَ وَأَجْفَانَ؟ أَمْ سَرِقَةُ الثِّمَارِ مِنْ هَذَا الْبُسْتَانِ؟

دَهِشَتْ وَدِيعَةُ مِنْ مَعْرِفَةِ عَجُوزِ السُّتُوتِ لِكُلِّ مَا وَقَعَ لَهَا، وَغَلَبَهَا الِارْتِبَاكُ فَقَالَتْ لَهَا:

- سَامِحِينِي يَا خَالَتِي، فَالْغَلْطَةُ لَيْسَتْ غَلْطَتِي.

صَرَّتِ الْعَجُوزُ بِأَسْنَانِهَا، وَقَالَتْ:

- الْغَلْطَةُ غَلْطَةُ وَدِيعَةَ ابْنَةِ الشَّيْخِ رَبِيعَةَ.لَوْلَاهَا مَا حَدَثَ التَّأْخِيرُ، وَمَا حَصَلَ التَّقْصِيرُ، وَلِهَذَا سَأُخَفِّفُ عَنْكِ الْعِقَابَ، فَأُجَرِّدُكِ مِنْ

هَدَايَا الأَحْبَابِ، وَأَطْلِقُ سَبِيلَكِ فِي الْحِينِ، تَقْدِيرًا لأَبِيكِ الْمِسْكِينِ.

وَمَدَّتِ الْعَجُوزُ يَدَهَا إِلَى وَدِيعَةَ، وَقَالَتْ لَهَا بِصَوْتٍ خَافِتٍ يَفِحُّ فَحِيحَ الأَفْعَى:

ـ انْزَعِي مِنْ إِصْبَعِكِ خَاتَمَ الْأَلْمَاسِ الصَّغِيرَ، هَدِيَّةَ مِرْعَادٍ الْحَقِيرِ.. وَانْزَعِي مِنْ عُنُقِكِ عِقْدَ الْعَقِيقِ، هَدِيَّةَ وَالِدِ بَرِيقَ.. وَهَاتِ حَفْنَةَ اللُّؤْلُؤِ النَّفِيسِ، هَدِيَّةَ عَرُوسِ الْبَحْرِ بِلْقِيسَ.

اِسْتَاءَتْ وَدِيعَةُ مِنْ إِقْدَامِ عَجُوزِ السُّتُوتِ عَلَى تَجْرِيدِهَا مِنَ الْهَدَايَا الَّتِي أُعْطِيَتْ لَهَا، وَتَوَسَّلَتْ إِلَيْهَا قَائِلَةً:

ـ يَا خَالَتِي إِنَّهَا هَدَايَا أُعْطِيَتْ لِي، فَدَعِيهَا لِي أَحْتَفِظُ بِهَا كَتَذْكَارٍ.

صَاحَتْ الْعَجُوزُ فِي غَضَبٍ:

ـ قُلْتُ لَكِ هَاتِ الْهَدَايَا، وَإِلاَّ سَجَنْتُكِ فِي سِرْدَابِ الْبَلاَيَا، وَسَحَرْتُكِ فِي وَمْضَةِ عَيْنٍ، فَتَصِيرِينَ حَمَامَةً دُونَ جَنَاحَيْنِ!..

فَخَافَتْ وَدِيعَةُ، وَأَسْرَعَتْ بِتَجْرِيدِ نَفْسِهَا مِنَ الْهَدَايَا، وَقَدَّمَتْهَا لِعَجُوزِ السُّتُوتِ فَأَخَذَتْهَا، وَقَالَتْ لَهَا فِي شَمَاتَةٍ:

ـ هَا قَدْ حَقَّقَ اللَّهُ دُعَاءَ أُمِّكِ وَأَخَذَتْكِ الْجِنِّيَاتُ إِلَى بِلاَدِ الأَهْوَالِ وَالأَغْوَالِ.

وَأَشَارَتْ بِعُكَّازَتِهَا إِلَى دَرْبٍ خَلْفَ أَشْجَارِ الْخَوْخِ وَالتُّفَّاحِ، وَهْيَ تَقُولُ:

ـ اُسْلُكِي هَذَا الدَّرْبَ فَهْوَ أَقْصَرُ طَرِيقٍ إِلَى قَصْرِ الشَّيْخِ رَبِيعَةَ، هَيَّا، أَسْرِعِي وَلاَ تُبْطِئِي عَلَى أَبِيكِ، وَإِيَّاكِ أَنْ تُعَاكِسِي أُمَّكِ، فَتَدْعُوَ عَلَيْكِ فَتَأْخُذَكِ الْجِنِّيَاتُ مَرَّةً أُخْرَى إِلَى بِلاَدِ الأَهْوَالِ وَالأَغْوَالِ.

فَأَسْرَعَتْ وَدِيعَةُ بِالذَّهَابِ وَهْيَ تَرْتَجِفُ مِنَ الْخَوْفِ، وَاجْتَازَتِ الدَّرْبَ رَاكِضَةً حَتَى وَصَلَتْ بَابَ الْقَصْرِ الْمُطِلَّ عَلَى الْحَدِيقَةِ، فَأَخَذَتْ تَطْرُقُهُ، وَهْيَ تَلْهَثُ مِنَ التَّعَبِ.

فَتَحَتْ بَدِيعَةُ الْبَابَ، وَمَا إِنْ رَأَتْ صَاحِبَتَهَا حَتَّى صَاحَتْ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ وَالسُّرُورِ:

ـ وَدِيعَةُ ! وَافَرْحَتَاهُ !



وَاحْتَضَنَتْهَا بِقُوَّةٍ وَهْيَ تَضُمُّهَا وَتُعَانِقُهَا، وَتَحْمَدُ اللَّهَ عَلَى سَلاَمَتِهَا.

أَسْرَعَتْ أَخَوَاتُ بَدِيعَةَ لِمُلاَقَاةِ وَدِيعَةَ حِينَ سَمِعْنَ أُخْتَهُنَّ تُرَحِّبُ بِعَوْدَتِهَا، وَأَقْبَلْنَ عَلَيْهَا يُعَانِقْنَهَا وَيُقَبِّلْنَهَا وَيَسْأَلْنَهَا عَنْ حَالِهَا، وَأَدْخَلْنَهَا الْقَصْرَ، وَأَجْلَسْنَهَا فِي غُرْفَةِ صَاحِبَتِهَا، وَأَحَطْنَ بِهَا، وَطَلَبْنَ مِنْهَا أَنْ تَرْوِيَ لَهُنَّ مَا وَقَعَ لَهَا، ثُمَّ أَقْبَلَ الشَّيْخُ رَبِيعَةُ وَزَوْجَتُهُ، وَابْنُهُ يَاقُوتٌ وَعَرُوسُهُ قُوتُ الْقُلُوبِ عَلَى وَدِيعَةَ يُرَحِّبُونَ هُمْ أَيْضًا بِعَوْدَتِهَا وَيَسْأَلُونَهَا عَنْ سِرِّ غِيَابِهَا...

قَالَتْ بَدِيعَةُ لِوَدِيعَةَ:

ـ احْكِي لَنَا مَا وَقَعَ لَكِ مُنْذُ الْبِدَايَةِ إِلَى النِّهَايَةِ.. فَقَدْ كَانَ آخِرُ عَهْدِي بِكِ حِينَ نَهَضْتِ عَنْ كُرْسِيِّكِ، فَأَيْنَ ذَهَبْتِ؟ وَكَيْفَ تَخَلَّفْتِ عَنْ مَوْكِبِ الْعُرْسِ؟

أَخَذَتْ وَدِيعَةُ تَحْكِي لَهُمْ مَا وَقَعَ لَهَا مُنْذُ أَنْ نَهَضَتْ عَنْ كُرْسِيِّهَا بِجِوَارِ مِنَصَّةِ الْعُرْسِ إِلَى عَوْدَتِهَا إِلَى حَدِيقَةِ الْقَصْرِ، وَرُؤْيَتِهَا لِلأَمِيرِ يَاقُوتٍ وَهُوَ يَصْطَادُ فِيهَا أَرْنَبًا؛ ثُمَّ مُفَاجَأَةِ عَجُوزِ السُّتُوتِ لَهَا وَهْيَ تَقْطِفُ التُّفَّاحَ، وَتَهْدِيدِهَا لَهَا، وَمُعَاقَبَتِهَا بِتَجْرِيدِهَا مِنَ الْهَدَايَا الَّتِي أُعْطِيَتْ لَهَا... فَتَعَجَّبُوا كَثِيرًا مِنْ حِكَايَتِهَا، وَقَالَ لَهَا الشَّيْخُ رَبِيعَةُ:

ـ الْحَمْدُ للَّهِ عَلَى نَجَاتِكِ مِنْ يَدِ عَجُوزِ السُّتُوتِ.

وَقَالَتْ لَهَا جُلُّنَارُ أُمُّ صَاحِبَتِهَا وَدِيعَةَ:

ـ قَصَفَ اللَّهُ عُمْرَ عَجُوزِ السُّتُوتِ، وَلاَ رَحِمَهَا اللهُ يَوْمَ تَمُوتُ؛ فَهْيَ سَبَبُ كُلِّ الْمَتَاعِبِ وَالْمَصَائِبِ.

قَالَتْ بَدِيعَةُ لِصَاحِبَتِهَا وَدِيعَةَ:

ـ سَامِحِينِي لَمْ أَكُنْ أَتَوَقَّعُ حِينَ أَلْحَحْتُ عَلَيْكِ فِي دُخُولِ قَصْرِنَا أَنْ يَقَعَ لَكِ مَا وَقَعَ، كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّكِ سَتَحْضُرِينَ عُرْسَ أَخِي وَتَتَفَرَّجِينَ عَلَيْهِ وَتَعُودِينَ إِلَى أَبِيكِ.

نَهَضَتْ وَدِيعَةُ بِسُرْعَةٍ، وَقَدْ تَذَكَّرَتْ أَبَاهَا، وَقَالَتْ لَهُمْ:

ـ يَاوَيْلِي !.. لاَ بُدَّ أَنَّ أَبِي قَلِقَ لِغِيَابِي، وَأَنَّهُ بَحَثَ عَنِّي فِي الْحَقْلِ، وَطَرَقَ بَابَ قَصْرِكُمْ فَلَمْ تَسْمَعُوهُ، لأَنَّ الطَّرْقَ عَلَى بَابِكُمْ لاَ يُسْمَعُ. لَقَدْ قَالَتْ لِي بَدِيعَةُ ذَلِكَ حِينَ لَقِيتُهَا خَارِجَ الْقَصْرِ، وَأَخْبَرَتْنِي الْمِسْكِينَةُ بِأَنَّهَا ظَلَّتْ وَاقِفَةً بِالْبَابِ أَيَّامًا وَشُهُورًا، وَلَمْ تَتَمَكَّنْ مِنْ دُخُولِ الْقَصْرِ إِلاَّ عِنْدَمَا عَثَرْتُ أَنَا عَلَى مِفْتَاحِهِ فِي السَّاقِيَةِ.

تَأَثَّرَتْ جُلُّنَارُ بِمَخَاوِفِ وَدِيعَةَ، فَسَأَلَتْهَا:

ـ وَمَاذَا تَرَيْنَ أَبَاكِ فَاعِلاً حِينَ يَبْحَثُ عَنْكِ فِي الْحَقْلِ وَلاَ يَجِدُكِ؟

رَدَّتْ وَدِيعَةُ فِي جَزَعٍ:

ـ سَيَعُودُ إِلَى الدَّارِ، فَتَسْأَلُهُ أُمِّي عَنِّي فَيُخْبِرُهَا بِضَيَاعِي، فَتَهْلَعُ كَثِيرًا، وَتَخْرُجُ مَعَهُ لِتُعِيدَ الْبَحْثَ عَنِّي فِي الْحَقْلِ، ثُمَّ يَنْصَرِفَانِ إِلَى الْبَحْثِ عَنِّي فِي الْجَبَلِ وَالسَّهْلِ... وَرُبَّمَا يُسَافِرَانِ مَعًا إِلَى الْمَدِينَةِ ظَنًّا مِنْهُمَا بِأَنِّي رَكِبْتُ الْحَافِلَةَ لأَزُورَ جَدَّتِي..

ضَحِكَ الشَّيْخُ رَبِيعَةُ، وَقَالَ لَهَا..

ـ لاَ تَجْزَعِي يَا بُنَيَّتِي الْجَمِيلَةَ، فَلَنْ يَقَعَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ بِحَوْلِ اللَّهِ.

لَمْ تَطْمَئِنَّ وَدِيعَةُ إِلَى قَوْلِ الشَّيْخِ رَبِيعَةَ، وَقَالَتْ لِصَاحِبَتِهَا بَدِيعَةَ:

ـ لاَ بُدَّ مِنْ أَنْ أَعُودَ الآنَ إِلَى أَبِي وَأُمِّي وَأَخِي.. أَيْنَ دُمْيَتِي مَنَّانَةُ؟

نَهَضَتْ بَدِيعَةُ لِكَيْ تَأْتِيَهَا بِالدُّمْيَةِ، وَهْيَ تَقُولُ:

ـ مَنَّانَةُ.. فِي الْحِفْظِ وَالصِّيَانَةِ..

قَالَ الشَّيْخُ رَبِيعَةُ لِزَوْجَتِهِ:

ـ يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نُهْدِيَ لِوَدِيعَةَ هَدِيَّةً ثَمِينَةً تُعَوِّضُهَا عَنِ الْهَدَايَا الَّتِي سَلَبَتْهَا مِنْهَا عَجُوزُ السُّتُوتِ جَزَاءَ عُثُورِهَا عَلَى الأَشْيَاءِ

الَّتِي سَرَقَتْهَا مِنَّا الْعَجُوزُ الْمَاكِرَةُ وَإِرْجَاعِهَا إِلَيْنَا، وَقَبُولِهَا دَعْوَةَ ابْنَتِنَا بَدِيعَةَ لِزِيَارَتِنَا.

قَالَتْ وَدِيعَةُ فِي تَشَاؤُمٍ وَخَوْفٍ:

ـ لاَ أَرْغَبُ فِي هَدَايَا.. أَخْشَى أَنْ تَعْتَرِضَ سَبِيلِي عَجُوزُ السُّتُوتِ مَرَّةً أُخْرَى، وَتَفْتَكَّهَا مِنِّي وَتَسْحَرَنِي..

قَالَتْ هَدِيلُ:

ـ لاَ بُدَّ مِنْ مُجَازَاةِ الْجَمِيلِ بِالْجَمِيلِ.

قَالَتْ دِيمَاسُ:

ـ مَاذَا نُهْدِي إِلَيْهَا يَا أَبِي؟

قَالَتْ ابْتِهَاجُ:

ـ لاَ بُدَّ أَنْ نُهْدِيَ إِلَيْهَا هَدِيَّةً لاَ تَقْدِرُ عَجُوزُ السُّتُوتِ وَلاَ أَيُّ أَحَدٍ عَلَى أَخْذِهَا وَنَزْعِهَا مِنْهَا.

قَالَ يَاقُوتُ:

ـ هَذَا هُوَ الرَّأْيُ الصَّوَابُ.

ضَحِكَ الشَّيْخُ رَبِيعَةُ وَقَالَ:

- بِمَا أَنَّهَا قَلِقَةٌ لِغِيَـابِهَا عَنْ أَهْلِهَا، وَتَتَمَنَّى أَنْ لَا يَحِلَّ بِهِمْ مَكْرُوهٌ بِسَبَبِهَا،فَإِنَّ عِنْدِي لَهَا هَدِيَّةً عَظِيمَةً، لَا تُقَدَّرُ بِقِيمَةٍ.

فَهِمَتْ جُلُّنَارُ مَقْصِدَ زَوْجِهَا، فَقَالَتْ لَهُ:

- بَارَكَ اللَّهُ رَأْيَكَ، وَحَقَّقَ قَصْدَكَ.

رَفَعَ الشَّيْخُ رَبِيعَةُ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، وَقَالَ:

— سَنَدْعُو خَـالِقَ الظَّـلَامِ وَالضِّيَـاءِ.. وَنَتَضَرَّعُ إِلَيْهِ أَنْ يَعُـودَ بِالزَّمَانِ إِلَى الْوَرَاءِ،وَأَنْ يَقِفَ بِهِ حَيْثُ وَدِيعَةُ تَشَاءُ.

قَالَتْ وَدِيعَةُ بِدَهْشَةٍ وَفَرَحٍ:

- أَحَقًّا.. يَسْتَجِيبُ اللَّهُ دُعَاءَكَ، فَيُعِيدُ الزَّمَـانَ إِلَى الْوَرَاءِ، وَيَقِفُ بِهِ حَيْثُ أَشَاءُ؟

قَالَتْ جُلُّنَارُ فِي خُشُوعٍ:

- اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، يَا بُنَيَّتِي.

قَالَ الشَّيْخُ رَبِيعَةُ:

- لَكِ مَا تُرِيدِينَ. فَاسْأَلِي مَا تَشَائِينَ.

قَالَتْ وَدِيعَةُ:

- أَنْ يَعُودَ الـزَّمَانُ إِلَى الْـوَرَاءِ، وَأَجِـدَ أَبِي كَمَا تَرَكْتُـهُ، يَحْرُثُ الْحَقْلَ، وَلَمْ يَطُلْ عَلَيْهِ غِيَابِي كَثِيراً، وَلَمْ يَفْطَنْ لَهُ..

بَسَطَ الشَّيْخُ رَبِيعَةُ يَدَيْهِ، وَأَخَذَ يَبْتَهِلُ وَيَتَضَرَّعُ إِلَى اللهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ، خَـالِقِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ.. ثُمَّ صَاحَ ، وَهْوَ يُشِيرُ بِسَبَّـابَتِهِ إِلَى الشَّمْسِ قَائِلاً:

- اِجْعَلِ اللَّهُمَّ الشُّهُورَ لَحْظَةً، وَالأَيَّامَ ثَوَانِيَ، وَالسَّاعَاتِ وَمْضَةً، وَالأَعْمَالَ تَخَيُّـلَاتٍ وَأَمَـانِيَ.. عُـدْ بِالـزَّمَـانِ إِلَى الْـوَرَاءِ عَـوْدَةً سَرِيعَةً.. وَقِفْ بِهِ حَيْثُ تَشَاءُ وَدِيعَةُ...

وَفِي الْحِينِ، أَطْبَقَ ظَلَامٌ دَامِسٌ عَلَى الْقَصْرِ، ثُمَّ انْفَلَقَ مِنْهُ ضِيَاءٌ قَوِيٌّ يَبْهَرُ الأَبْصَارَ...

عَادَتْ بَدِيعَةُ تَحْمِلُ دُمْيَةَ صَاحِبَتِهَا، قَالَتْ لِأَبِيهَا فِي دَهْشَةٍ:

- عَادَ الزَّمَانُ إِلَى الْـوَرَاءِ، يَا أَبِي.. تَجَرَّدَتِ الأَشْجَارُ مِنْ أَوْرَاقِهَا، وَبَرَدَ الطَّقْسُ..

قَالَ لَهَا أَخُوهَا يَاقُوتٌ:

- تِلْـكَ هَدِيَّتُنَا الَّتِـي طَلَبْنَاهَا مِـنَ اللهِ لِصَاحِبَتِكِ وَدِيعَـةَ.. الْبُنَيَّةِ اللَّطِيفَةِ الْوَدِيعَةِ.

- إِنَّهَا الآنَ فِي فَصْلِ الْخَرِيفِ، وَفِي نَفْسِ اللَّحْظَةِ الَّتِي كَانَتْ تَلْعَبُ فِيهَا بِجِوَارِ الْغَدِيرِ..

لَمْ تُصَدِّقْ وَدِيعَةُ مَا يَقُولُونَ، وَخُيِّلَ إِلَيْهَا أَنَّهُمْ يُمَازِحُونَهَا لِيُخَفِّفُوا عَنْهَا مَخَاوِفَهَا فَنَهَضَتْ، وَاسْتَلَمَتْ دُمْيَتَهَا مَنَّانَةَ مِنْ صَاحِبَتِهَا، وَقَالَتْ لِلْجَمِيعِ:

- أُوَدِّعُكُمْ الآنَ.

فَنَهَضُوا جَمِيعًا إِلَى تَوْدِيعِهَا وَاحْتَضَنُوهَا وَقَبَّلُوهَا وَشَيَّعُوهَا إِلَى بَابِ الْقَصْرِ..

خَرَجَتْ وَدِيعَةُ مِنَ الْقَصْرِ، وَاجْتَازَتِ الْكَهْفَ وَعَبَرَتِ السَّفْحَ، وَحِينَ وَصَلَتِ الْغَدِيرَ، سَمِعَتِ الضَّفَادِعُ وَقْعَ خُطُوَاتِهَا، فَوَثَبَتْ إِلَى الْمَاءِ، فَأَجْفَلَتْ وَدِيعَةُ، وَالْتَفَتَتْ حَوَالَيْهَا وَقَدْ خُيِّلَ إِلَيْهَا أَنَّ عَجُوزَ السُّتُوتِ لَحِقَتْ بِهَا. وَسَرِيعًا مَا غَمَرَهَا الاطْمِئْنَانُ حِينَ تَأَكَّدَتْ مِنْ خُلُوِّ الْمَكَانِ مِنْهَا.

رَفَعَتِ الضَّفَادِعُ رُؤُوسَهَا مِنْ تَحْتِ سَطْحِ الْمَاءِ، وَمَلأَتِ الدُّنْيَا نَقِيقًا، وَكَأَنَّهَا تَرْجُو مِنْ وَدِيعَةَ الابْتِعَادَ عَنِ الْغَدِيرِ لِتَعُودَ إِلَى التَّشَمُّسِ خَارِجَهُ، فَالْتَقَطَتْ وَدِيعَةُ حَصَاةً، أَلْقَتْ بِهَا فِي الْغَدِيرِ،

فَكَفَّتِ الضَّفَادِعُ عَنِ النَّقِيقِ، وَوَاصَلَتْ وَدِيعَةُ سَيْرَهَا بِجِوَارِ السَّاقِيَةِ.

لَمْ تَكَدْ وَدِيعَةُ تُصَدِّقُ نَفْسَهَا حِينَ رَأَتْ أَبَاهَا وَرَاءَ الْمِحْرَاثِ يَحُثُّ الثَّوْرَ عَلَى السَّيْرِ. عَجَبًا ! إِنَّهُ مَا زَالَ يَحْرُثُ وَلَمْ يَبْتَعِدْ كَثِيرًا عَنِ الْمَكَانِ الَّذِي تَرَكَتْهُ يَحْرُثُ فِيهِ..

شَعَرَ أَبُوهَا بِقُدُومِهَا فَصَاحَ آمِرًا الثَّوْرَ بِالْوُقُوفِ، وَتَرَكَ الْمِحْرَاثَ، وَاتَّجَهَ نَحْوَ شَجَرَةِ الزَّيْتُونِ الَّتِي عَلَّقَ فِي أَحَدِ أَغْصَانِهَا قُفَّتَهُ، فَنَحَّى الْقُفَّةَ عَنْهَا، وَوَضَعَهَا عَلَى الأَرْضِ، وَنَادَى وَدِيعَةَ، قَائِلاً:

- تَعَالَيْ، نَأْكُلْ لُقْمَةً..

اِتَّجَهَتْ وَدِيعَةُ إِلَيْهِ، وَجَلَسَتْ أَمَامَهُ، وَهْيَ تَنْظُرُ إِلَيْهِ فِي دَهْشَةٍ، فَقَالَ لَهَا:

- مَا لَكِ؟ هَلْ قَلِقْتِ مِنَ اللَّعِبِ مَعَ دُمْيَتِكِ مَنَّانَةَ؟

فَقَالَتْ لَهُ فِي اضْطِرَابٍ:

- لاَ، يَا أَبِي.

أَخْرَجَ وَالِدُهَا مِنَ الْقُفَّةِ صَحْنًا بِهِ زَيْتٌ مَخْلُوطٌ بِالسَّمْنِ، وَرَغِيفًا نَزَعَ مِنْهُ قِطْعَةً نَاوَلَهَا لِوَدِيعَةَ، وَذَكَرَ اسْمَ اللَّهِ، وَأَخَذَ

يَأْكُلُ.. وَلَمَّا رَأَى وَدِيعَةَ مُحْجِمَةً عَنِ ٱلأَكْلِ، وَهْيَ تَنْظُرُ إِلَيْهِ فِي دَهْشَةٍ مُمْسِكَةً قِطْعَةَ الْخُبْزِ فِي يَدٍ، وَدُمْيَتَهَا فِي الْيَدِ الأُخْرَى، تَوَقَّفَ عَنْ مَضْغِ اللُّقْمَةِ ٱلَّتِي حَشَاهَا فِي فَمِهِ، وَقَالَ لَهَا:

ـ مَا لَكِ؟ أُذْكُرِي ٱسْمَ اللَّهِ، وَكُلِي،

قَالَتْ فِي ٱضْطِرَابٍ:

ـ لاَ أَشْعُرُ بِالْجُوعِ يَا أَبِي.

اِزْدَرَدَ وَالِدُهَا لُقْمَتَهُ، وَقَالَ فِي تَعَجُّبٍ:

ـ عَجَبًا ! أَنْتِ لَمْ تُفْطِرِي، وَلَمْ تَأْكُلِي شَيْئًا.

أَرَادَتْ وَدِيعَةُ ٱلتَّخَلُّصَ مِنْ حَيْرَتِهَا، فَقَالَتْ لَهُ:

ـ أَلَمْ تَشْعُرْ بِغِيَابِي، يَا أَبِي؟

رَدَّ وَالِدُهَا فِي دَهْشَةٍ:

ـ غِيَابُكِ !.. أَيْنَ غِبْتِ؟ أَلَمْ تَذْهَبِي إِلَى السَّاقِيَةِ لِتُحَمِّمِي دُمْيَتَكِ مَنَّانَةَ مُنْذُ قَلِيلٍ.

أَسْرَعَتْ إِلَى الْقَوْلِ:

ـ لاَ لَمْ أُحَمِّمْ مَنَّانَةَ يَا أَبِي، خِفْتُ أَنْ تُصَابَ بِزُكَامٍ وَتَمْرَضَ كَمَا مَرِضَ أَخِي حِينَ حَمَّمَتْهُ أُمِّي.



ضَحِكَ وَالِدُهَا وَٱقْتَطَعَ لُقْمَةً مِنَ الرَّغِيفِ غَمَسَهَا فِي الزَّيْتِ، وَهْوَ يَقُولُ:

- طَيِّبٌ.. مَاذَا فَعَلْتِ إِذَنْ حِينَ ذَهَبْتِ إِلَى السَّاقِيَةِ؟ كُلِي، وَحَدِّثِينِي عَمَّا فَعَلْتِ.

حَدَّقَتْ وَدِيعَةُ فِي عَيْنَيْ وَالِدِهَا، وَقَالَتْ لَهُ:

- أَلَا تَغْضَبُ عَلَيَّ يَا أَبِي، حِينَ أَقُولُ لَكَ الْحَقِيقَةَ؟

دَفَعَ أَبُوهَا اللُّقْمَةَ فِي فَمِهِ، وَقَالَ:

- لَا، إِلَّا إِذَا مَشَيْتِ فَوْقَ نَبَاتِ الطَّمَاطِمِ وَدُسْتِ عَلَى بَرَاعِمِهَا،فَإِنِّي أَغْضَبُ عَلَيْكِ كَثِيراً..

أَسْرَعَتْ تَقُولُ لَهُ، وَكَأَنَّهَا تُطَمْئِنُهُ مِنْ هَذِهِ النَّاحِيَةِ:

- لَا، يَا أَبِي، لَمْ أَفْعَلْ ذَلِكَ.. وَلَكِنِّي..

وَتَوَقَّفَتْ، فَقَالَ لَهَا أَبُوهَا، وَهُوَ يُوَاصِلُ الْمَضْغَ، وَيَحُثُّهَا عَلَى الْأَكْلِ:

- تَكَلَّمِي.. وَكُلِي..

قَالَتْ وَكَأَنَّهَا تَتَخَلَّصُ مِنْ قَبْضَةٍ تُمْسِكُ بِعُنُقِهَا، وَقَدْ قَرَّرَتْ فِي سِرِّهَا مُوَاجَهَةَ أَبِيهَا مُتَحَمِّلَةً مَا قَدْ يَتَرَتَّبُ عَلَى غَضَبِهِ مِنْ نَتَائِجَ:

- لَقَدْ ذَهَبْتُ إِلَى الْكَهْفِ.

لَمْ يَتَوَقَّفْ أَبُوهَا عَنِ الْأَكْلِ كَمَا تَوَقَّعَتْ وَلَمْ يَشْزُرْهَا بِنَظْرَةٍ غَاضِبَةٍ، بَلْ وَاصَلَ الْأَكْلَ، وَكَأَنَّهُ لَمْ يُصَدِّقْ مَا قَالَتْهُ، وَسَأَلَهَا بِتَعَجُّبٍ:

- أَبِهَذِهِ السُّرْعَةِ وَصَلْتِ إِلَى الْكَهْفِ وَعُدْتِ مِنْهُ؟ أَمْ إِنَّكِ خِفْتِ حِينَ اقْتَرَبْتِ مِنَ الْكَهْفِ، وَعُدْتِ رَاكِضَةً؟

وَنَظَرَ إِلَيْهَا نَظْرَةَ تَحْذِيرٍ، وَقَالَ:

- أَلَمْ تَنْهَكِ أُمُّكِ عَنِ الرَّكْضِ؟ إِنَّ الرَّكْضَ يُجْهِدُ قَلْبَكِ.. هَيَّا كُلِي..

قَالَتْ، وَهْيَ تُوَاصِلُ تَرْكِيزَ نَظَرَاتِهَا عَلَى عَيْنَيْ أَبِيهَا:

- لَمْ أَرْكُضْ يَا أَبِي، بَلْ سِرْتُ عَلَى مَهَلٍ إِلَى الْغَدِيرِ.. وَجَلَسْتُ عَلَى حَافَةِ السَّاقِيَةِ، وَأَرَدْتُ أَنْ أَلْتَقِطَ الْحَصَى لِأَرْمِيَ الضَّفَادِعَ، فَعَثَرْتُ عَلَى مِفْتَاحٍ صَغِيرٍ...

تَوَقَّفَ أَبُوهَا عَنِ الْمَضْغِ، وَقَالَ لَهَا فِي دَهْشَةٍ:

- مِفْتَاحٌ صَغِيرٌ أَيْنَ هُوَ؟ أَرِنِيهِ؟

قَالَتْ فِي خَيْبَةٍ وَأَسَفٍ:

- أَعْطَيْتُهُ لِصَاحِبَتِهِ بَدِيعَةَ: بُنَيَّةٍ فِي سِنِّي، تُشْبِهُنِي كَثِيرًا يَا أَبِي، وَكَأَنَّهَا تَوْأَمٌ لِي.

رَفَعَ وَالِدُهَا حَاجِبَيْهِ تَعَجُّبًا وَرَدَّدَ:

ـ بَدِيعَةَ !!

شَجَّعَهَا تَعَجُّبُ وَالِدِهَا، فَوَاصَلَتِ الْقَوْلَ فِي حَمَاسٍ:

ـ نَعَمْ، يَا أَبِي، لَقَدْ ضَاعَ الْمِفْتَاحُ مِنْهَا مُنْذُ شُهُورٍ.. إِنَّهُ مِفْتَاحُ قَصْرِ أَبِيهَا الْوَاقِعِ دَاخِلَ الْكَهْفِ..

كَفَّ وَالِدُهَا عَنِ الأَكْلِ، وَجَمَدَتْ يَدُهُ الْمَمْدُودَةُ إِلَى الصَّحْنِ، وَصَاحَ:

ـ مَاذَا تَقُولِينَ؟!

أَسْرَعَتْ إِلَى الْقَوْلِ:

ـ أَنَا لاَ أَكْذِبُ يَا أَبِي.. لَقَدْ رَأَيْتُ بَدِيعَةَ ابْنَةَ الشَّيْخِ رَبِيعَةَ، وَذَهَبْتُ مَعَهَا إِلَى الْكَهْفِ، وَدَخَلْتُ قَصْرَ أَبِيهَا..

وَتَوَقَّفَتْ عَنِ الْكَلاَمِ حِينَ رَأَتْ أَبَاهَا يُحَدِّجُهَا بِنَظْرَةٍ فَاحِصَةٍ، ثُمَّ يَهُبُّ وَاقِفًا، وَيَنْحَنِي عَلَيْهَا، وَيَمُدُّ يَدَهُ لِيَجُسَّ جَبِينَهَا.. قَالَتْ، وَهْيَ تَرْنُو إِلَيْهِ، وَتَبْتَسِمُ لِتُطَمْئِنَهُ:

ـ لاَ. . . لَسْتُ مَرِيضَةً، يَا أَبِي.

سَأَلَهَا أَبُوهَا فِي تَوَجُّسٍ:

ـ أَلاَ تَشْعُرِينَ بِصُدَاعٍ؟

رَدَّتْ بِسُرْعَةٍ:

ـ لاَ يَا أَبِي.

رَفَعَهَا أَبُوهَا بَيْنَ ذِرَاعَيْهِ، وَأَخَذَ يَجُسُّ يَدَيْهَا، وَيَتَحَسَّسُ حَرَارَةَ قَدَمَيْهَا، وَيُصْغِي إِلَى نَبَضَاتِ قَلْبِهَا. ثُمَّ طَلَبَ مِنْهَا أَنْ تَفْتَحَ فَمَهَا، وَتَأَمَّلَ لِسَانَهَا، ثُمَّ حَدَّقَ فِي عَيْنَيْهَا:

أَدْرَكَتْ وَدِيعَةُ مَا خَطَرَ بِبَالِ أَبِيهَا، فَقَالَتْ لَهُ:

ـ أَنْتَ تَظُنُّ أَنِّي مَرِيضَةٌ، أَهْذِي مِنْ حَرَارَةِ الْحُمَّى.. كَلاَّ يَا أَبِي، أَنَا بِخَيْرٍ.. لَكِنِّي أُقْسِمُ لَكَ إِنِّي ذَهَبْتُ إِلَى الْكَهْفِ، وَدَخَلْتُ مَعَ بُنَيَّةٍ اسْمُهَا بَدِيعَةُ إِلَى قَصْرِ أَبِيهَا، الشَّيْخِ رَبِيعَةَ، وَقَدْ فَرِحُوا كَثِيرًا بِي يَا أَبِي، خَاصَّةً بَعْدَ أَنْ أَرْجَعْتُ لَهُمْ الأَشْيَاءَ الَّتِي سَرَقَتْهَا مِنْهُمْ عَجُوزُ السُّتُوتِ، وَالَّتِي عَثَرَتْ عَلَيْهَا فِي السَّاقِيَةِ.

ضَمَّهَا أَبُوهَا إِلَى صَدْرِهِ، وَقَالَ لَهَا بِصَوْتٍ مُرْتَعِشٍ، وَهُوَ يَكَادُ يَبْكِي مِنْ شِدَّةِ التَّأَثُّرِ، إِذِ اسْتَقَرَّ فِي رُوعِهِ أَنَّ ابْنَتَهُ أَصَابَهَا الْهَوَسُ:

ـ اُسْكُتِي، يَا بُنَيَّتِي.. أَرْجُوكِ.. لاَ تُتْعِبِي نَفْسَكِ.. صَدَّقْتُكِ.. صَدَّقْتُكِ..

وَأَضَافَ، وَقَدْ قَرَّرَ الرُّجُوعَ بِهَا فَوْرًا إِلَى الدَّارِ لِتَرَى زَوْجَتُهُ رَأْيَهَا مَعَهُ فِي حَالَتِهَا:

- سَنَعُودُ إِلَى الدَّارِ لِتَحْكِيَ لِي وَلِأُمِّكِ عَنْ زِيَارَتِكِ لِقَصْرِ صَاحِبَتِكِ بَدِيعَةَ.

ارْتَاحَتْ لِقَرَارِهِ وَلَزِمَتِ الصَّمْتَ بَعْدَ أَنْ قَالَتْ لَهُ:

- كَمَا تَشَاءُ، يَا أَبِي.

وَتَرَكَ الرَّجُلُ طَعَامَهُ وَعَمَلَهُ، وَأَخَذَ يُهَرْوِلُ بِابْنَتِهِ عَائِدًا إِلَى الدَّارِ...

* * *

تَعَجَّبَتْ حَلُومَةُ حِينَ رَأَتْ زَوْجَهَا يَعُودُ فَجْأَةً مِنَ الْحَقْلِ فِي الضُّحَى، وَيَدْخُلُ الدَّارَ حَامِلاً ابْنَتَهُ بَيْنَ ذِرَاعَيْهِ. انْصَرَفَ ذِهْنُهَا بِسُرْعَةٍ إِلَى ابْنَتِهَا، فَفَزِعَتْ حِينَ خَطَرَ بِبَالِهَا أَنَّهُ رُبَّمَا حَلَّ بِهَا مَكْرُوهٌ، وَرَكَضَتْ نَحْوَهُ صَائِحَةً:

- ابْنَتِي ! مَا بِهَا؟ مَاذَا وَقَعَ لَهَا؟

اِسْتَرَدَّ أَحْمَدُ أَنْفَاسَهُ، وَقَالَ لَهَا:

- لاَ تَجْزَعِي.. إِنَّهَا مُتْعَبَةٌ قَلِيلاً..

رَفَعَتْ وَدِيعَةُ رَأْسَهَا عَنْ كَتِفِ أَبِيهَا، وَابْتَسَمَتْ لِأُمِّهَا قَائِلَةً:

- أَنَا بِخَيْرٍ، يَا أُمِّي.. لَسْتُ مَرِيضَةً..

أَسْرَعَتْ حَلُومَةُ بِأَخْذِهَا مِنْ أَبِيهَا، وَجَسَّتْ رَأْسَهَا، وَسَأَلَتْهَا:

- مَا لَكِ، يَا عَزِيزَتِي؟.. مِنْ أَيِّ شَيْءٍ تَشْكِينَ؟ مَاذَا يُؤْلِمُكِ؟

قَالَتْ وَدِيعَةُ، وَهِيَ تُعَانِقُ أُمَّهَا:

- أَتَعْرِفِينَ يَا أُمِّي.. لَقَدْ حَقَّقَ اللَّهُ دُعَاءَكِ، وَأَخَذَتْنِي الْجِنِّيَاتُ إِلَى بِلاَدِ الأَهْوَالِ وَالأَغْوَالِ.

صَاحَتْ أُمُّهَا، وَهْيَ تَتَفَرَّسُ فِيهَا:

- مَاذَا تَقُولِينَ؟!

وَنَظَرَتْ إِلَى زَوْجِهَا فِي ذُعْرٍ، وَأَضَافَتْ وَهْيَ تَضُمُّ ابْنَتَهَا إِلَى صَدْرِهَا:

- حَفِظَ اللَّهُ ابْنَتِي مِنَ الأَهْوَالِ وَالأَغْوَالِ.. بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ.. قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ.. اللَّهُ الصَّمَدُ..

وَأَخَذَتْ تَتْلُو فِي صَوْتٍ خَافِتٍ مَا تَوَارَدَ لِذِهْنِهَا مِنْ آيَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.

قَاطَعَتْ وَدِيعَةُ غَمْغَمَةَ أُمِّهَا، وَهْيَ تَقُولُ فِي تَأْكِيدٍ:

ـ صَدِّقِينِي يَا أُمِّي، هَذَا مَا قَالَتْهُ لِي عَجُوزُ السُّتُوتِ، وَوَقَعَ لِي فِعْلاً.

خَافَتْ حَلُّومَةُ كَثِيرًا، وَقَالَتْ فِي نَفْسِهَا: «لَقَدْ أَضَرَّتْهَا الشَّمْسُ. يَا وَيْلِي، كَثِيرًا مَا حَذَّرْتُ أَبَاهَا مِنْ مَغَبَّةِ تَرْكِهَا تَلْعَبُ فِي الشَّمْسِ.. وَلَكِنْ عَجَبًا، هِيَ لَيْسَتْ مَحْمُومَةً، وَجَبِينُهَا وَأَطْرَافُهَا لَيْسَتْ سَخِنَةً!»

قَالَ لَهَا زَوْجُهَا فِي جَزَعٍ:

ـ مَاذَا نَفْعَلُ؟ أَنَحْمِلُهَا إِلَى الطَّبِيبِ؟

صَاحَتْ وَدِيعَةُ قَائِلَةً، وَقَدْ أَثَارَهَا إِصْرَارُهُمَا عَلَى أَنَّهَا مَرِيضَةٌ:

ـ أَنَا لَسْتُ مَرِيضَةً. لَسْتُ مَرِيضَةً..

فَقَالَتْ لَهَا أُمُّهَا، وَهْيَ تُهَدِّئُهَا:

ـ طَبْعًا، يَا عَزِيزَتِي.. أَنْتِ بِخَيْرٍ.. أَنْتِ لَسْتِ مَرِيضَةً.. أَعَاذَ اللَّهُ ابْنَتِي مِنَ الْمَرَضِ، وَحَفِظَهَا مِنْ كُلِّ شَرٍّ وَمَكْرُوهٍ.

وَانْصَرَفَتْ بِهَا إِلَى الْغُرْفَةِ، وَهْيَ تَقُولُ لَهَا فِي لُطْفٍ:

ـ سَأَضَعُكِ يَا حَبِيبَتِي فِي فِرَاشِكِ لِتَرْتَاحِي قَلِيلاً فَقَطْ.

وَأَرْقَدَتْهَا فِي فِرَاشِهَا، وَأَحْضَرَتْ لَهَا كَأْسًا مِنَ اللَّيْمُونِ، وَدَوَاءً

مُنْعِشًا، وَقَالَتْ لَهَا:

ـ خُذِي يَاحَبِيبَتِي، اُذْكُرِي اسْمَ اللهِ، وَاشْرَبِي..

قَالَتْ وَدِيعَةُ:

ـ هَذَا دَوَاءٌ، وَأَنَا لَسْتُ مَرِيضَةً.

قَالَتْ لَهَا أُمُّهَا، وَهْيَ تَحْتَضِنُهَا:

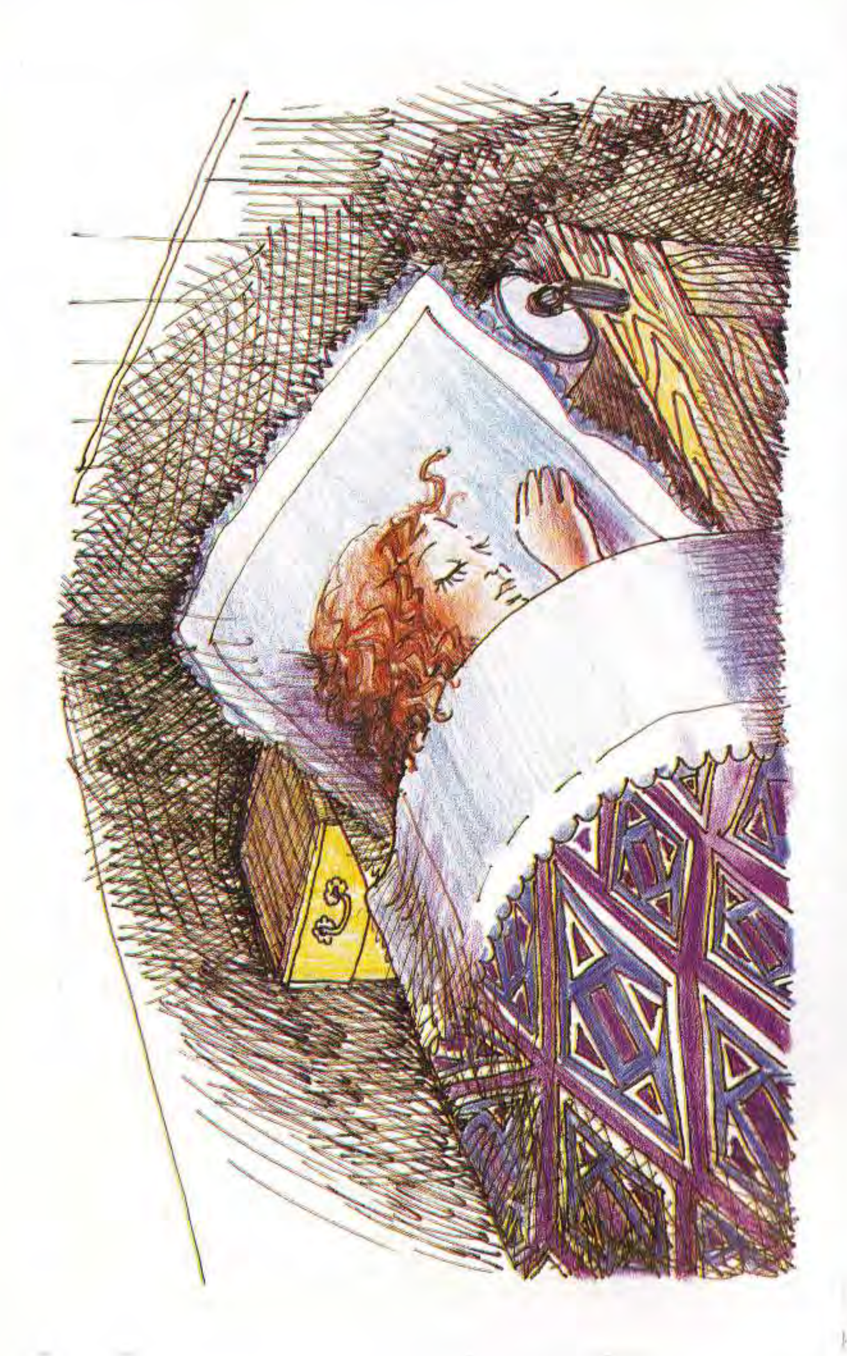
ـ أَعْرِفُ ذَلِكَ.. وَلَكِنْ سَتَشْرَبِينَهُ لِئَلاَّ تَمْرَضِي.. سَتَشْرَبِينَهُ لأَجْلِي وَأَجْلِ أَبِيكِ.

نَظَرَتْ وَدِيعَةُ إِلَى الْكَأْسِ وَقُرْصِ الدَّوَاءِ، وَقَالَتْ لأُمِّهَا:

ـ أَنْتِ لَمْ تُصَدِّقِينِي يَا أُمِّي.. حَسِبْتِنِي مِثْلَ أَبِي مَرِيضَةً، أَنَا لَسْتُ مَرِيضَةً.. صَدِّقِينِي يَا أُمِّي، فَقَدْ أَخَذَتْنِي الْجِنِّيَّاتُ فِعْلاً إِلَى بِلاَدِ الأَهْوَالِ وَالأَغْوَالِ، اِسْمَعِي سَأَحْكِي لَكِ مَا وَقَعَ لِي، سَأَقُصُّ عَلَيْكِ مَا حَدَثَ مِنَ الْبِدَايَةِ إِلَى النِّهَايَةِ.

أَشْفَقَتْ حَلُّومَةُ عَلَى ابْنَتِهَا، وَخَبَطَتْ صَدْرَهَا، وَقَالَتْ فِي سِرِّهَا، وَهْيَ تَلُومُ نَفْسَهَا:

"... الْغَلْطَةُ غَلْطَتِي، لَيْتَنِي لَمْ أَتْرُكْهَا تَذْهَبُ مَعَ أَبِيهَا إِلَى الْحَقْلِ.." وَقَالَتْ لابْنَتِهَا، وَهْيَ تُخْفِي هَوَاجِسَهَا بِابْتِسَامَةٍ عَرِيضَةٍ:



- اِشْرَبِي، هَذَا لَيْسَ دَوَاءً. إِنَّهُ عَصِيرُ لَيْمُـونٍ، وَتَنَاوَلِي هَذِهِ الْحَبَّةَ ٱلَّتِي تُشْبِـهُ الْحَلْـوَى، ثُمَّ قُصِّي عَلَيَّ مَـا وَقَعَ لَكِ مِنَ الْبِـدَايَـةِ إِلَى النِّهَايَةِ، هَيَّا يَاحَبِيبَتِي.

أَطَاعَتْ وَدِيعَةُ أُمَّهَا، وَفَعَلَتْ مَا أَمَرَتْهَا بِهِ، فَدَعَتْ لَهَا بِالشِّفَاءِ.

اِلْتَفَتَتْ حَلُومَةُ إِلَى زَوْجِهَا، وَقَالَتْ لَهُ:

- اِطْمَئِنَّ.. سَتَرْتَـاحُ قَرِيبًا بِحَوْلِ اللَّـهِ.. اِنْصَرِفْ إِلَى الْحَقْلِ، وَعُدْ إِلَى عَمَلِكَ.

أَذْعَنَ أَحْمَدُ لِرَأْيِ زَوْجَتِهِ، وَفَوَّضَ أَمْرَ ٱبْنَتِهِ إِلَى اللَّهِ، طَالِبًا مِنْهُ الشِّفَاءَ، وَعَـادَ مُسْرِعًا إِلَى الْحَقْلِ، وَقَـدِ انْشَغَلَ ذِهْنُـهُ بِالتَّفْكِيرِ فِي الثَّوْرِ ٱلَّذِي تَرَكَهُ مَشْدُودًا إِلَى الْمِحْرَاثِ..

قَالَتْ وَدِيعَةُ لِأُمِّهَا:

- اِسْمَعِي يَا أُمِّي لَأَقُصَّ عَلَيْكِ، مَا وَقَعَ.

وَأَخَذَتْ وَدِيعَـةُ تَحْكِي لِأُمِّهَا الْحِكَايَـةَ مِنَ الْبِدَايَةِ إِلَى النِّهَـايَةِ، وَأُمُّهَا تَنْظُـرُ إِلَيْهَا فِي إِشْفَـاقٍ، وَتَطْلُبُ مِنَ اللَّهِ أَنْ يَشْفِـيَ ٱبْنَتَهَا، فَقَـدْ كَانَتِ الْمِسْكِينَـةُ تَهْذِي، وَتَقُصُّ خُرَافَـةَ «وَدِيعَةَ ٱلْمُطِيعَـةَ، وَبَـدِيعَةَ ٱبْنَـةِ الشَّيْخِ رَبِيعَةَ» ٱلَّتِي رَوَتْهَا لَهَا جَـدَّتُهَا فِي الصَّيْفِ



لَيْلَةَ عُرْسِ ٱبْنِ ٱلْعُمْدَةِ، قَبْلَ أَنْ تُسَافِرَ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لِتُقِيمَ مَعَ ابْنَتِهَا خَدِيجَةَ.

وَلَمَّا انْتَهَتْ وَدِيعَةُ مِنْ رِوَايَةِ الْخُرَافَةِ – الَّتِي كَانَتْ أُمُّهَا قَدْ سَمِعَتْهَا مَعَهَا – قَالَتْ لِأُمِّهَا فِي أَسَفٍ وَحُزْنٍ:

ــ لَيْتَ عَجُوزَ السُّتُوتِ لَمْ تَفْتَكَّ مِنِّي الْخَاتَمَ وَالْعِقْدَ وَحَفْنَةَ اللُّؤْلُؤِ، وَإِلَّا لَكُنْتُ أَعْطَيْتُهَا لَكِ يَا أُمِّي، لِتَتَزَيَّنِي بِهَا فِي عُرْسِ خَالَتِي مُنِيرَةَ.

1214966 ~~1695~~

عَانَقَتْهَا أُمُّهَا، وَهْيَ تَكَادُ تَبْكِي خَوْفًا عَلَيْهَا، وَقَالَتْ لَهَا:

ــ نَامِي يَا عَزِيزَتِي لِتَرْتَاحِي قَلِيلًا، وَعِنْدَمَا يَحْضُرُ الطَّعَامُ سَأُوقِظُكِ.

فَأَغْمَضَتْ وَدِيعَةُ عَيْنَيْهَا، وَغَلَبَهَا النُّعَاسُ فَنَامَتْ... فَحَمِدَتْ أُمُّهَا اللَّهَ، وَخَرَجَتْ بِخَطَوَاتٍ هَادِئَةٍ غَيْرِ مَسْمُوعَةٍ، وَهْيَ تَطْلُبُ مِنَ اللَّهِ أَنْ يُعَجِّلَ بِشِفَاءِ ٱبْنَتِهَا مِنْ مَرَضِ..... التَّوَهُّمِ، وَ«التَّخْرِيفِ».

تم طبع هذا الكتاب بالمطابع الموحدة
مجموعة سراس
6 شارع عبد الرحمان عزام – 1002 تونس
مارس 1994

الحِكَايَاتُ زُهُـورٌ تُزَيِّنُ جَنَّةَ الأطْفَـالِ، وَتَمْلَؤُهَا عِطْـرًا، وَجَمَالاً وَخَيَـالاً بِعَجَـائِبِهَـا الشَّبِيهَـةِ بِعَجَـائِبِ الكَهْفِ المُخَبَّأَةِ فِي حِكَـايَاتِ هَـذَا المُسَلْسَلِ الَّذِي كَتَبَهُ لَهُمْ محمَّـد المختار جنَّات وتُصدره لهم «سَيراس للنّشر» في إحـدى عشرة حلقة:

1 ــ أعراس القرية
2 ــ وديعة وبديعة
3 ــ عقد الياسمين
4 ــ زهور السوسن
5 ــ سرّ الغزالة
6 ــ وفاء أجفان
7 ــ هديّة السلطان
8 ــ عروس البحر
9 ــ مبارزة الأمير
10 ــ مرآة الدنيا
11 ــ عودة وديعة

SBN 9973-19-089-0
رقم الناشر : 01 0243

الثمن : 0,980 د.ت